الباب السابع

صناعة الضحك

ويتضمن الموضوعات التالية :

- طرق الاضحاك
- وظيفة النكتة السياسية
- سوسيولوجيا النكتة السياسية
- الاضحاك فى السينما والمسرح
- الاضحاك وصناعة النكتة

وظيفة النكتة السياسية

تعد النكتة السياسية احدى السلوكيات التي كان لها حضور في حياتنا منذ فترات طويلة فالنكتة حكاية بسيطة وقصيرة تقوم بوظيفة اجتماعية من خلال نقد أحداث معينة تجري في المجتمع ولكن حسبما حددت العديد من الدراسات العلمية معايير معينة في عنصر السرد وفنه وتخلله بعض المفارقات وبشكل غير مباشر وفيها غموض بسيط تجنب السارد لها مصيراً غير محمود من قبل السلطات ومبثوثة في كل مكان وهذه سمات لصيقة بالنكتة السياسية واذا انتفت هذه السمات تفقد النكتة محتواها وتغدو حديثاً وسرداً مباشراً بلا أي تشويق والنكتة بشكل عام أمر اجتماعي إيجابي في المجتمعات المفتوحة عندما تكون فسحة للراحة من هموم الحياة وراحة للأعصاب لهذا نرى ان بعض الفلاسفة في العصر الحديث مثلاً ومنهم الفيلسوف الفرنسي بيرجسون كان يقوم عند القاءه احدى المحاضرات بأن يفتتح محاضرته بألقاء نكتة امام الحضور من الجمهور فتضج القاعة بالضحك بعد سماعهم لها مما يؤدي إلى خلق جو من الراحة والانعاش النفسي للجمهور وتهيئة الذهن لاستقبال المحاضرة وهذا ما كان يبغيه الفيلسوف بيرجسون عند إلقائه للنكتة وفي الحقيقة أن النكتة قديمة قدم وجود الإنسان وتأمله للحياة فالنكتة وأشد أنواعها شيوعاً النكتة السياسية التي ترافقت مع الانسان وانتعشت خاصة في المجتمعات التي شهدت استبداداً سياسياً وتضييق في حرية التعبير ولهذا

يقال إن مواطني الاتحاد السوفيتي في الحقبة الشيوعية كانوا إكثر البلدان تداولاً للنكتة وتفريغ الرغبات المكبوتة من خلالها لأفراد المجتمع الذين كانوا لايستطيعون البوح بمكنونات الداخلية من آراء سياسية لأنها كانت مرفوضة من قبل النظام السياسي القائم آنذاك وفي الحقيقة إن النكتة السياسية لم تغب عن عالمنا العربي الذي تقاسمت بلدانه سمة الاستبداد السياسي وانعدام وجود حرية التعبير منذ فترات طويلة بسبب الديكتاتورية المتجذرة في بنيتها السياسية والاجتماعية بشكل عميق وهذه البيئة ملائمة جداً لانتشار النكتة السياسية ويكاد يكون أفراد البلدان العربية اكثر افراد الشعوب اليوم تداولا للنكتة نتيجة للواقع الموضوعي البائس في كل الميادين ووجود النكتة السياسية كما اسلفنا هو أمر طبيعي في مجتمع مكبوت ولقد عرفنا مايطلق عليه الباحث حسنين ابراهيم توفيق بالعنف اللفظي عبر توظيف النكتة السياسية وممارسة العنف اللفظي الذي يردده أفراد المجتمع ترديد أعمى من غير إدراك المرامي السيئة التي تعمل عليها السلطة آنذاك للتفرقة بين أبناء الشعب الواحد فهذا ينتمي إلى طائفة كذا وهذا ينتمي إلى أصول غير عربية وذلك يتسم بالبلاهة لأنه ينتمي إلى فئة معينة الأمر الذي عزز مفاهيم العنف الخفي ولكن غير الطافي على السطح لأسباب عديدة ولكنه فعل فعله السيئ على مستوى الذات أو مستوى المجتمع وكم رأينا في الفضائيات العربية التي تعود ملكيتها إلى حكام وأمراء عرب من البرامج

والمسرحيات التي تنتج لنا مشهداً وخطاباً فنياً واعلامياً سلبياً ومرفوض في السخرية من بعض فئات الشعب والمجتمع والأكثر مفارقة أن الجمهور يضحك على ذلك ولايعرف أنه يضحك على ذاته وأصبحت أداة في يد السلطة في تمزيق وحدة المجتمع بدلاً من أن تصبح أداة واعية لتعرية السلطة وأهدافها البغيضة وتكللت المفارقة بعد إتمام السيطرة على المجتمع من خلال هذه الآلية التي أشعرت السلطة ووهبتهم شعور زائف بتضخم الذات بدأت مرحلة جديدة بنوع آخر من النكت السياسية في حياة المجتمعات العربية تتمثل بحاكميها الذين يثبتون لنا يوماً بعد آخر أن النكتة السياسية ومفارقاتها مستمرة ولكن هذه المرة من خلال قمة الهرم السياسي للأنظمة وشخصياتها التي لايكاد ينطبق عليها أي توصيف علمي أو اكاديمي وتمثل خروج عن أي تعقل سياسي أو اجتماعي في سلوكها السياسي وطرق تسيير شؤون الأمة بلا أي تخطيط حقيقي وعميق وغالباً ما يقوم على ردود فعل شخصية أكثر منها موضوعية وثمة شواهد عديدة في هذا المجال ومنها مثلاً النموذج الناصري عندما عبر الرئيس المصري جمال عبد الناصر أنه سوف يرمي الصهاينة في البحر فاذا به يمنى بأتعس هزيمة في حرب ١٩٦٧ أو دعوات الوحدة العربية لنظام القذافي ولايرتضي بديلاً عن فكرة الوحدة في إقامة العلاقة بين نظامه وباقي أنظمة الدول العربية وإذا به أكثر الزعماء تحطيماً لفكرة الوحدة ولم تنجح او تعمر أي وحدة أقامها

مع باق الدول العربية وعاد اليوم كافراً بالوحدة العربية التي كانت يوماً قبلته وتبرأ من العرب ناعتاً إياهم بدول وأنظمة ميتة ويتجه إلى القارة الأفريقية .

سوسيولوجيا النكت

تمثل التعبيرات الرمزية والمخزون الثقافي الاجتماعي إحدى الركائز الأساسية لفهم المجتمعات والجماعات الإنسانية ودراستها، فمن جهة يمكن اعتبارها مرآة صادقة لما تحمله من قيم ومعتقدات وممارسات و من جهة أخرى تكشف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن الجوانب الخفية والحقيقية للمجتمع المدروس سواء أكانت في شكل مواقف أو تطلعات أو رغبات مكبوتة وذلك لتوفر عناصر التلقائية والدلالية للتعابير والرموز الثقافية خاصة لارتباطها بالواقع الاجتماعي وفي هذا الإطار تتنزل النكت السياسية والشعبية كإحدى أهم تلك التعبيرات الثقافية المنتشرة في المجتمعات العربية وأبرزها متزامن مع مختلف المراحل التاريخية التي مر بها.

وبالتالى فإنّ دراسة هذه النكت من شأنها أن تكشف لنا عن أهم تطلعات المجتمع العربي ورغباته وانتقاداته أو بمعنى آخر يمكن للنكت السياسية والشعبية المنتشرة أن تكشف لنا عن نوعية التفاعل والعلاقات

التي تربط المواطن بذاته وبالآخرين وجملة الإنتقادات الكاريكاتورية الموجهة لهما ، كما تلعب تلك النكت العديد من الوظائف كالتسلية والتواصل والنقد والمحافظة على التوازن الاجتماعي وتجسد مختلف والصراعات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تعيشها البلاد.

مكونات الخبر الفكاهي

لقد احتل القصص الفكاهي، كالنوادر والملح والطرائف، مكانة بارزة في التراث العربي وكما عرفت الأمم الأخرى القصص الفكاهي، فقد عرف العرب هذا اللون من القصص منذ العصر الجاهلي، حيث كان ينقل شفاهة بين عامة الناس، الأمر الذي ساعد على انتشاره انتشاراً كبيراً وكان لبعض القبائل في العصر الجاهلي ما يسمى بمضحك القبيلة، وهو شخصية شعبية تشيع جواً من الضحك والمرح بين أبناء القبيلة وشيوخها كما كانت هناك مضحكة القبيلة التي تدخل على النساء فتضحكهن كما وردت السخرية في الشعر الجاهلي أيضاً بشكل محدود.

وعند ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم وَرَدَ كثيرٌ من الآيات القرآنية التي تحمل معاني السخرية والهزء والضحك والاستخفاف في مواضع كثيرة كما وَرَدَ كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة في ضحك الرسول وتبسّمه.

تعريف الخبر الفكاهي:

قديماً أطلق علماء البيان والأصوليون والمنطقيون والمتكلمون وغيرهم لفظ الخبر على الكلام التام غير الإنشائي، وهو ما يعنينا هنا، إذ لا يعنينا مفهوم الخبر عند النحاة، وأنه المجرد المسند إلى المبتدأ، كما لا يعنينا هنا أيضاً تعريف أهل الحديث للخبر، وهل هو مرادف للحديث النبوي أم أن الخبر أعم منه ٠

فن صناعة الضحك فى السينما

الضحك صناعة تستلزم من مفكريها مجهوداً كبيراً لأنها يشترط فيها الخبرة والنبوغ حتي لا تتشابه اللقطات التي يقدمها مخرجوا السينما خاصة في مواقفها فيضعف أثرها في النفس البشرية والضحك يحتاج من مفكريه أفكاراً جديدة تحتاج في استنباطها إلي علم تام بما فى داخل النفس البشرية وما يتأثر به ويمكننا أن نتصور ما تمتاز به الأفلام السينمائية المضحكة من حدة في الذهن وتوقد في القريحة حتي يقدموا في الأفلام المواقف التي يكون لها أثرها المطلوب في نفس المشاهدين ولفن الاضحاك أسسه وقواعده التى يتم مراعاتها عند اختيار أو ابتكار المواقف المضحكة وأهم ما يجب توافره هو أولا المفاجأة فنحن إذا شاهدنا مشهداً لشخص أمام أسد مثلاً فإنه يرتعش حيث فوجيء بذلك فلا يتمالك الإنسان نفسه من الضحك بدلاً من الإسفاف عليه وثانياً إيقاع شخص معين في مأزق حرج يدعوا إلي ارتباكه وتورطه فلا يجد

المشاهد مجالا إلاَ أن يضحك وثالثاً البؤس والشقاء يجتمعان في رجل سيىء الحظ يلازمه طوال حياته فهو لا يهنأ في حبه ولا هو يتمتع بحياته ولكل مضحك طريقته في الأداء فمثلاً شارلي شابلن فانك لا تكاد تراه بملابسه الغريبة المكونة من قبعته المكورة وبدلته البالية وعصاه المعلقة وحذائه الخالد حتي تغرق في الضحك ونجيب الريحاني مثلاً الذي يتقبل نكبات الدنيا ومصائبها وهو صامد لها ويستعمل أفراحها ومسراتها بعد اكتراث حيث يبدي عنده حالات البؤس وحالات الهناء حيث تضحك منه إلي حد الإغراق وفنانون كثيرون سواء في السينما العالمية مثل لوريل وهاردي وفي السينما المصرية إسماعيل يس وعبد الفتاح القصري وعبدالمنعم إبراهيم وحسن فايق وعبدالسلام النابلسي لأن كل منهم له أسلوبه وطريقته في إضحاك الناس ويكفي النجاح الذي نالوه من خلال الجماهير وتعتمد صناعة الضحك علي المبتكر وأعنى المؤلف الذي يرسم للفنان الشخصية الكوميدية التي يقدمها مثل أمين صدقي وأبو السعود الأبياري والسيد بدير وعلي الزرقاني وغيرهم من كتاب الكوميديا الذين أسعدوا الجماهير بما قدموه في كتاباتهم من مواقف كوميدية ولأن الضحك فن جماعي فإن هذا يحتاج إلي مجموعة لمشاهدة المواقف الكوميدية حتي يضحكوا٠

لذلك عندما يري الإنسان الفيلم علي شاشة السينما فإن الضحك عنده يختلف عندما يشاهد نفس الفيلم علي شاشات التليفزيون فهو يشهده في

السينما مع جماعة أما عندما يشاهد نفس الفيلم علي شاشة التلفاز فإن الانفعال يختلف عنده عن السينما ومحصلة القول أن صناعة الضحك تهاوت في السنوات الأخيرة وسببها عدم وجود مفكرين يقومون بصناعة الضحك وأيضا عدم وجود ممثلين موهوبين كما كان في الماضي ليقدموا المواقف الكوميدية الساخنة .

المصادروالمراجع

١ـ الضحك فلسفة وفن ـ جلال العشري .

٢ـ الضحك.. البحث في دلالة المضحك ـهنري برجسون- ترجمة سامي الدروبي، عبد الله عبد الدايم.

٣ـ ،حاسة الدعابة لدى طلاب الجامعة ـ بدرية كمال ٠

٤ـ السخرية في الأدب العربي- نعمان محمد أمين طه٠

٥ـ سيكولوجية الفكاهة والضحك- زكريا إبراهيم٠

٦ـ الحيوان- الجاحظ٠

٧ـ البخلاء ـالجاحظ٠

٨ـ الفكاهة والضحك رؤية جديدة ـالمؤلف :شاكر عبد الحميد

٩ـ الطب النفسي والحياة ـ د. حسان المالح .

١٠ـ النكت في صعيد مصر ـ بانسيه مصطفى حسان٠

١١ـ الحد بين الهزل والجد ـ بوعلي ياسين٠

١٢ـ النكتة السياسية علي حمودة٠